بسم الله الرحمن الرحيم

غاية المأمول في التفرقة بين النبي والرسول

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد،،،

فقد اشتهر عند الكثير من الناس بأن الأنبياء غير مأمورين بالتبليغ وبالِغُ حجَّتهم في ذلك المعنى اللغوي لكلمة نبي "أي الرفعة"، وهذا التفسير مخالف للكتاب والسنة وصريح العقل ولأحد أوجه المعنى اللغوي لهذه الكلمة، ونحن في هذه الرسالة المتواضعة سنسعى لإزالة هذه الشبهة التي وقع فيها كثير من الناس وقد سميتها **(غاية المأمول في التفرقة بين النبي والرسول)**.

اعلم أن النبوة والرسالة اصطفاء من الله عز وجلَّ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(آل عمران: الآية 33)، فلا تُنال النبوة بكثرة عبادة أو اجتهاد أو عظيم جاهٍ إنما هي اختيار من الله، وقال سبحانه: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾(الأنعام: من الآية 124)، فلابد أن يكون الأنبياء والرسل أكملَ أهلِ زمانهم عقلاً وفضلاً وفطنةً ومعرفةً وصلاحاً وعفةً وشجاعةً وسخاوةً وزهداً، ولا يجوز أن يكونوا أقل من المرسلين إليهم ولا ناقصي الحواس، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ما بعث الله من نبيٍّ إلا كان حسنَ الوجه حسنَ الصوت وإنَّ نبيَّكم أحسنُهم وجهاً وأحسنُهم صوتاً ﴾ (رواه الترمذي).

الرسول لغةً: الذي يتابع أخبار الذي بعثه، وهي مأخوذةٌ مِنْ جاءت الإبلُ رَسلاً أي متتابعةً، وكذلك من رَسَلَ اللبنُ إذا تتابع درَّ.

اصطلاحاً: إنسان حرٌّ ذَكَرٌ يأتي بشرْعٍ جديد من الله عزَّ وجلَّ على الابتداء يكون ناسخاً لشرع الرسول الذي قبله إمَّا بالكلية لقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾(المائدة: من الآية 48)، وإما يكون ناسخاً لبعض أحكام شريعة الرسول الذي قبله لقوله عزَّ وجلَّ في حق سيدنا عيسى: ﴿ لأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾(آل عمران: من الآية 50)، فسيدنا موسى عليه السلام أُنزل عليه حُكم قتْل القاتل من دون المصالحة على الدِّية ولا العفو، وفي شرع سيدنا عيسى شُرِّعت الدِّية، وأما في شرع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد جاء بالقصاص والدِّية والعفو، وكذلك فإنَّ الصلوات في شَرْعِ من كان قبلنا كانت لا تؤدَّى إلا في البِيَعِ والصوامع، وأمَّا في شرعنا فإن الله جعل الأرض لنا مسجداً وطهوراً، والرسول مأمور بالتبليغ كما دلت عليه آيات الكتاب الحكيم فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(الأعراف: الآية 104)، وكذلك في حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾(المائدة: من الآية 67)، وكذلك فإن الأنبياء غيرَ الرسل مأمورون بالتبليغ، وقد أقرَّ علماءُ الأصول: "أنَّ كلَّ رسولٍ لله نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسول"، وحتى نقف على سبب هذا التفريق لابد من تعريف معنى النبي.

النبي: هو كلٌّ من أوحي إليه وكان متبعاً لشرع الرسول الذي قبله، ولا تختص بالذكور بل يجوز أن تكون في النساء كما هو الحال مع السيدة مريم عليها السلام إذ جاءت الآيات القرآنية شاهدة على نبوتها وهي مسألة تخفى على كثير من طلبة العلم وليس هذا موضع بحثها ولنا رسالة في ذلك سنبيِّنُ فيها الأدلة الواضحة على ذلك إن شاء الله، والنبيُّ مأمورٌ بالتبليغ والحُجَّة قائمةٌ على ذلك من عدة وجوه والقول بأنهم غير مأمورين بالتبليغ مخالفٌ للغة والقرآن والسنة وصريح العقل.

مخالفته للغة: قال أهل اللغة: النبي في اللغة على معنيين إما مهموزٌ أو غير مهموز.

المعنى الأول: المهموز وهو مأخوذ من النبأ الذي هو الخبر قال سبحانه: [نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] (الحجر: الآية 49) أي أخبرهم وبلِّغهم، ومن المعلوم أن النبي مخبرٌ عن الله، والمُخبرُ يحتاج إلى جهة يبلِّغهمُ الخبرَ وهم قومه وهذا معناه تبليغ ما أوحى الله إليه.

والمعنى الثاني: أي الغير مهموز أنها مشتقة من النباوة أي الرفعة لعلو شأنه واشتهار مكانه، ويفهم من هذا أن النبي في قومه بمكان لا يضاهيه أحد فهو أفضل معاصريه على الإطلاق وهذا لا يُعْرف إلا إذا أخبرهم بأنه مرسَلٌ من الله فقد قال المولى سبحانه: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ](الحج: من الآية 52)، فكليْهما مرسلٌ من الله عزَّ وجلَّ، والمرسَلُ لابد من أن يُعرِّف عن نفسه لقومه بأنه نبي الله إليهم ويدعوهم إلى الحق ويحكم بينهم بشريعة الرسول الذي كان قبله.

مخالفته لصريح القرآن:

آيات الكتاب شاهدة على أن الأنبياء بَلَّغوا أمر الله الذي كُلِّفوا به ويدل على ذلك تعرضهم للإذاية والاستهزاء والتقتيل فقال سبحانه: [وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ، وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ](الزخرف: الآيات 6-7)، ولا يكون هذا لنبيٍّ متستر على حاله غير معروف أمره بين الناس، يقول المولى عز وجل: [لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ](آل عمران: من الآية 181)، ولقد بَيَّن القرآن الكريم أن الأنبياء كانوا يبلِّغون الناس برسالة التوحيد فقال سبحانه: [مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ](آل عمران: من الآية 79)، ولقد أخذ الله الميثاق على العلماء بالتبليغ والتبيان فقال: [وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ](آل عمران: من الآية 187)، فإذا كان هذا حال العلماء الذين يتَّبعون الأنبياء قد أُخذ عليهم الميثاق بالتبليغ فكيف يمكن أن يكون الأنبياء من كاتميه وقد قال سيدنا شعيب: [وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ](هود: من الآية 88)، وقد توعد الله الذين يأمرون بالخير ولا يفعلونه بالمقت والغضب فقال سبحانه: [كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ](الصف: الآية 3)، وتوعَّد الله سبحانه وتعالى في صريح كتابه الذين يكتمون العلم ولا يبينونه للناس باللعن فقال: [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ

بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم] (البقرة: الآيات 159-160).

أما مخالفتهُ لصريح السنة:

قول سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p العلماءُ ورثةُ الأنبياء i (رواه أحمد والأربعة وآخرون) والوراثة من ناحية التبليغ وتحمُّل مشقة الدَّعوة، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً بزيادة أن: p الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما وَرَّثوا العلم i ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p من سُئلَ عَن عِلم فَكَتَمهُ ألجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِن نار يوم القيامة i (رواه أبو داود والترمذي)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p من كتم علماً مما ينفع اللهُ به الناسَ في أمر الدين ألجمهُ الله يوم القيامة بلجامٍ من نار i (رواه ابن ماجه)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p منَ كَتمَ عِلماً عَن أَهلهِ أُلجِمَ يومَ القِيَامةِ لِجاماً مِن نار i (رواه ابن عدي)، والحديث مشهور ومتواتر عند من قال بالعدد، والمتفق عليه عند علماء أصول العقيدة أن العالِم مهما وصل من علمه وتُقاه لا يصلُ إلى درجة النبوة؛ لأن النبوة توهب والعلم يكتسب ونبيٌّ واحد أفضل من كل العلماء والأولياء وبهذا الذي قلناه أن العالِم مأمورٌ بالتبليغ فكيف يجوز على النبي عدم التبليغ؟، وهذا الكلام هو "استدلال بما هو أدنى على ما هو أعلى"، وهو يتوافق مع القاعدة "أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يأت ناسخ"، والمعلوم عند علماء الأصول "أنه لا يجتمع الأمر وضدُّه" فكيف يكونوا أنبياء مأمورين باتباع الرسل وغير مأمورين بالتبليغ.

مخالفة هذا الكلام لصريح العقل:

أن النبيَّ لو كان مأموراً بالكتمان لكان من باب أحرى وأولى أن نكون مأمورين بالكتمان وهذا لا يقول به أحد؛ لأن النبي مأمور باتباع شرع الرسول الذي قبله باتفاق، والرسول لا يكون إلا مبلِّغاً باتفاق، فلا يكون النبي متبعاً للرسول على معناه الحقيقي إلا أن يكون مبلغاً، والتبليغ لا يكون إلا بالقول والفعل ومما هو معلوم أنه يستحيل على الرسول الكتمان وبالتبع يستحيل على النبي أيضاً الكتمان؛ لأن عكس الكتمان التبليغ فثبت العكس ولزم المطلوب وهو وجوب التبليغ للأنبياء ولمن ائتسى بهم وهكذا، وهذا الكلام مما هو معلوم في البداهة عند المبتدئين في علم التوحيد أثناء دراستهم وتعلمهم ما يجوز وما يستحيل وما يجب على الرسول، ومن يدَّعي غير ذلك فعليه البيان والتوضيح وردُّ ما ثبت بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة الأعلام وردُّ صريح العقل مع النقل قال تعالى: [قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (البقرة: من الآية 111)، ومن المعلوم أن الأنبياء مؤيدون من الله تعالى بالمعجزة وهي من خصائصهم، إذ هي دلالة صدقهم في إقامة الحجة على المعاندين وكيف لا وقد اتفقوا على تعريف المعجزة بأنها: أمرٌ خارق للعادة يظهر على يد مُدَّعي النبوة موافقٌ للدعوة سالمٌ عن المعارضة بالمثل مقرونٌ بالتحدي، وكيف تكون إقامة الحجة بدون أن يكون مأموراً بالتبليغ.

فالفرق بين النبيِّ والرسول ما قاله الإمام أبو منصور البغدادي في أصول الدين: "والفرق بينهما - أي النبي والرسول - أن النبيَّ من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه المَلَكُ بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو ينسخ بعض أحكام شريعة من قبله"، والله ورسوله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

حرره خادم العلم الشريف

أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي الفلسطيني

كان الله له ولوالديه ولكل من كان له فضل عليه بمنه وكرمه آمين

إعداد:

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

8 ذو القعدة 1432 هجري الموافق 6 أكتوبر 2011 رومي